

Texte 4 – Traduction collective

NB. Les variantes fournies dans cette proposition ont uniquement une fonction didactique. Dans une situation d'examen ou de concours, toute proposition alternative ou toute variante est à proscrire et est systématiquement sanctionnée.

الفصل الثالث : هزل الطابع

لَقَدْ دَرَسْنَا فَنِّ/صِنَاعَةَ الْهَزْلِ مِنْ خِلَالِ عَدَدٍ مِنْ خُدَعِهِ وَحِيلِهِ، بَا حِثِينَ عَن كَيْفِيَّةِ تَسْرُّبِهِ فِي هَيْئَةٍ أَوْ تَصَرُّفٍ أَوْ حَرَكَةٍ أَوْ ظَرْفٍ/مَشْهَدٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ كَلِمَةٍ. وَنَأْتِي الْآنَ إِلَى الْقِسْمِ الْأَهَمِّ مِنْ سَعِينَا، أَلَا وَهُوَ تَحْلِيلُ الطَّبَاعِ الْهَزْلِيَّةِ. وَقَدْ يَكُونُ/مِمَّا قَدْ يَكُونُ أَيْضًا الْقِسْمَ الْأَصْعَبَ إِذَا أَنْصَعْنَا لِلْمُحَاوَلَةِ السَّهْلَةِ فِي تَعْرِيفِ مَا هُوَ قَابِلٌ لِلْهَزْلِ مَعَ بَعْضِ الْأَمْثَلَةِ الْأَكْثَرِ وَقَعًا، وَبِالتَّالِي الْأَقْلِ دِقَّةً. فَعِنْدَهَا كُلَّمَا أَرْتَقَيْنَا نَحْوَ أَعْلَى التَّجَلِّيَّاتِ الْهَزْلِيَّةِ رَأَيْنَا الْوَقَائِعَ/الْأَفْعَالَ تَنْفَلَتْ مِنْ بَيْنِ حِبَالِ شَبَكِ التَّعْرِيفِ الرَّخْوَةِ جِدًّا وَهِيَ تَهْدِفُ إِلَى أَنْ تَحْتَوِيهَا. وَلَكِنَّا فِي الْحَقِيقَةِ أَنْتَهَجْنَا طَرِيقَةً مَعْكُوسَةً، فَسَلَطْنَا الضَّوْءَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ.

فَقَصَدْنَا الْإِنْسَانَ أَوَّلًا، أَيِ الطَّبَعِ، وَنَحْنُ مُقْتَنِعُونَ بِأَنَّ لِلضَّحِكِ مَعْنَى وَبُعْدًا أَجْتِمَاعِيَيْنِ، وَبِأَنَّ الْهَزْلَ يُعَبِّرُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَن نَوْعٍ مِنْ عَدَمِ تَكْيِيفِ شَخْصٍ بِمُجْتَمَعِهِ/عَدَمِ تَكْيِيفِ خَاصٍ بِفَرْدٍ دَاخِلٍ/تَجَاهٍ/إِزَاءَ مُجْتَمَعٍ، وَفِي النِّهَايَةِ بِأَنَّ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَمْرِ هَزْلِيٍّ/مُضْحِكٍ غَيْرَ الْإِنْسَانِ، بَلْ تَكْمُنُ الصُّعُوبَةُ إِذْنُ فِي تَفْسِيرِ كَيْفِيَّةِ وَقُوعِ الضَّحِكِ لِشَيْءٍ غَيْرِ الطَّبَعِ وَتَفْسِيرِ الظُّوَاهِرِ الْخَفِيَّةِ/الْخَافِيَةِ مِنْ حَيْثُ التَّشْرِبُ وَالْجَمْعُ وَالْمَزْجُ آتِي مِنْ خِلَالِهَا يَتَسَرَّبُ الْهَزْلُ فِي مُجَرَّدِ حَرَكَةٍ أَوْ فِي ظَرْفٍ غَيْرِ مُرْتَبِطٍ بِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ/مَا أَوْ فِي جُمْلَةٍ مُسْتَقْلَلَةٍ.

هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي قُمْنَا بِهِ حَتَّى الْآنَ/تِلْكَ [هِيَ] الدِّرَاسَةُ الَّتِي قُمْنَا بِهَا لِغَايَةِ الْآنِ، إِذْ أَعْطَيْنَا نَفْسَنَا الْمَعْدِنَ الْخَالِصَ بَيْنَمَا طَمَحَتْ جُهُودُنَا فِي إِعَادَةِ تَرْكِيبِ الْمَعْدِنِ

أَلْخَامِ، وَلَكِنْ لَا شَيْءَ أَسْهَلَ مِنْ ذَلِكَ إِذْ نُوِجَهُ/ نَتَنَاوَلُ/ نَتَعَاطَى فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عُنْصُرًا
بَسِيطًا، فَلِنَنْظُرُ إِلَيْهِ عَنْ كُثْبٍ/ فَلِنَمْعِنَ النَّظَرَ فِيهِ [عَنْ قُرْبٍ] وَلِنَرَّ كَيْفَ يَتَفَاعَلُ مَعَ
سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى، وَلِنَقُولَ :

هُنَاكَ مَشَاعِرُ/نَفْسِيَّاتٌ تُحَرِّكُنَا مَا إِنْ تَنَتَابُنَا/حَالَمَا تُصِيبُنَا، وَهُنَاكَ أَحْزَانٌ
وَأَفْرَاحٌ نَتَعَاطَفُ مَعَهَا، وَهُنَاكَ آلامٌ وَرِذَائِلٌ تُثِيرُ الدُّهُولَ الأَلِيمَ وَالرُّعْبَ وَحَتَّى الشَّفَقَةَ/
الرُّأْفَةَ/العَطْفَ عِنْدَ مَنْ يَتَأَمَّلُهَا، وَأَخِيرًا مَشَاعِرٌ تَنْتَقِلُ مِنْ رُوحٍ إِلَى أُخْرَى عَبْرَ عَمَلِيَّاتِ
الصِّدْقِ التَّعَاطُفِيِّ/أَصْدَاءِ تَعَاطُفِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يُشَكِّلُ/يَعْنِي جَوْهَرَ الْحَيَاةِ،
كُلُّ ذَلِكَ جِدِّيٌّ، بَلْ أحياناً مَا سَاوِيٌّ. قَدْ يَبْدَأُ الهَزْلُ/تَبْدَأُ المَلْهَاءُ حَيْثُ لَمْ يَعُدِ الغَيْرُ يُثِيرُ/
يُحَرِّكُ مَشَاعِرَنَا أَوْ يَبْدَأُ مَعَ مَا يُمَكِّنُنَا تَسْمِيَتَهُ التَّصَلُّبَ ضِدَّ الْحَيَاةِ الأَجْتِمَاعِيَّةِ.

إِنَّهُ لَمِنَ الهَزْلِيِّ/الهَزْلِ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي يَسْلُكُ طَرِيقَهُ تَلْقَائِيًّا بِدُونِ أَنْ يَأْبَهُ
بِالِاتِّصَالِ بِالْآخَرِينَ. [...]

Texte 4 – Proposition de corrigé

الفصل الثالث: هزل الطابع

لقد واصلنا الدراسة في فن الهزل من خلال عدد من حيله وخدمه، باحثين في كيفية تسله في شكل أو تصرف أو حركة أو ظرف أو عمل أو كلمة. فالآن أتينا إلى القسم الأهم من عملنا مع التحليل المتعلق بالطابع الهزلي، مما قد يكون من أصعب المهام إذا أتقنا لمحاولة تحديد ما هو قابل للهزل، مقتصرين على بعض الأمثلة الأكثر وقعا وبالتالي الأقل دقة. فبقدر ما ارتقينا عندئذ إلى أسى ظواهر الهزل رأينا الوقائع تنفلت من بين أحبال شبك تحديدنا الشديدة الرخو التي يهدف إلى احتوائها. لكننا في الحقيقة انتهجنا المنهج المعكوس فإننا من القمة إلى الأسفل سلطنا الأضواء.

فقصدنا بادئ ذي بدء هو الإنسان، أي الطبع، نتيجة اقتناعنا بأن للضحك معنى وبعدا اجتماعيين وبأن الهزل يعبر قبل كل عن شيء من عدم تكييف خاص بفرد داخل مجتمعه، وفي نهاية المطاف بأن ليس من شيء هزلي سوى الإنسان. فتكمن الصعوبة عندها في تفسير كيفية حدوث الضحك لشيء مختلف عن الطبع وكيفية تسلي الهزل في مجرد حركة أو في ظرف غير مرتبط بشخص ما أو في جملة مستقلة، وذلك من خلال ظواهر هشة عائدة إلى التشرّب أو التركيب أو المزج. ذلك العمل الذي أدّيناه إلى الآن: أعطينا أنفسنا المعدن الخالص بينما توخّت مساعينا إعادة تركيب المعدن الخام. ليس من شيء أكثر سهولة لأن ما يعنينا هنا هو العنصر البسيط. فلنمعن النظر فيه ونر كيف يتفاعل مع سائر الأشياء الأخرى.

ونقول:

هناك نفسيات تتأثر بها حالما أتنابتنا، حالات من السعادة والكرب تتعاطف بها، وحالات من الألم والرذائل نثير الدهول المؤلم أو الرعب أو الرافة عند من يتأملها، وأخيراً عواطف تنتقل من نفس إلى أخرى عبر أصداء عاطفية. كل هذا يتعلق بجوهر الحياة. كل

هَذَا أَمْرٌ جَدِيدٌ، بَلْ أحياناً مأسوياً. حَيْثُ الشَّخْصُ الأَخْرُ لَمْ يَعدُ يُوَثِّرُ فِينَا، هُنَاكَ فَقطُ
تَبَدُّئِ المَلْهَاءِ. وَتَبَدُّئُ بِمَا نَسْتَطِيعُ تَسْمِيَتَهُ بِالتَّشْنِجِ ضِدَّ الحَيَاةِ الأَجْتِمَاعِيَّةِ.
إِنَّهُ لَمِنَ الهَزْلِيِّ الشَّخْصِ الَّذِي يَسْلُكُ طَرِيقَهُ بِشَكْلِ آلِي دُونَ أَنْ يَأْبَهُ بِالأَخْرِينِ.
فَالضَّحِكُ مَوْجُودٌ هُنَا لِكِي يَسْتَدْرِكُ غَفْوَتَهُ وَلِكِي يَنْتَزِعُهُ مِنْ حَلْبِهِ. وَإِذَا تَسَنَّى لَنَا أَنْ نَقِيسَ
كُبْرِيَاةِ الأَشْيَاءِ بِصُغْرِيَاةِهَا ذَكَرْنَا هُنَا مَا يَجْرِي عِنْدَ دُخُولِ مَدَارِسِنَا إِذْ عِنْدَمَا يَجْتَازُ المَتْرَشِخُ
مَوَادَّ الأَمْتَحَانَاتِ البَاعِثَةَ إِلَى الخُشْيَةِ فَيَبْقَى لَهُ أَنْ يَواجِهَ أَبْوَاباً أُخْرَى مِمَّا يَعدُ لَهُ زَمَلَاؤُهُ لِيَدْرِبوهُ
لِلْمَجْمُوعَةِ الجَدِيدَةِ الَّتِي يَلِجُهَا وَذَلِكَ، كَمَا يَقُولُونَ، كَيْ يَلِينَ طَبْعُهُ.
فَإِنَّ كُلَّ المَجْتَمَعَاتِ المَصْغَرَةِ الَّتِي تَتَشَكَّلُ ضَمْنَ المَجْتَمَعَاتِ الكُبْرَى تَنقَادُ بِوَسائِلِ
غَرِيزَةٍ غَيْرِ مُحَدَّدَةٍ لِأَحْدَاثٍ نَمَطًا مِنَ التَّصْحِيحِ وَالتَّلِينِ إِزَاءَ العَادَاتِ المَتَشَجِّجَةِ الَّتِي أَعْتَادَهَا
فِي مَكَانٍ أُخْرَى الَّتِي يَنْبَغِي تَغْيِيرُهَا. إِنَّ المَجْتَمَعَ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَجْتَمَعٌ لَا يَعمَلُ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلَفَةٍ.
فَيَجِبُ عَلَيَّ كُلِّ مَنْ أَعْضَائِهِ أَنْ يَتَّقِظَ لِمَا يَحِيطُ بِهِ وَأَنْ يَطْبَعُ نَفْسَهُ طَبْعَ الجَوَارِ فِي النِّهَايَةِ
أَنْ يَتَجَنَّبَ الأَنْعِلَاقَ دَاخِلَ طَبْعِهِ وَكَانَهُ فِي بَرَجٍ عَاجِيٍّ. ذَلِكَ السَّبَبُ فِي أَنْ المَجْتَمَعَ يَبْقَى
عَلَى كَلِينَا أَفْقًا مِنَ الذُّلِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَهْدِيدًا بِالعُقُوبَةِ، أَفْقًا يَخْشَاهُ الأَجْمِيعُ رَغْمَ هَشَاشَتِهِ. تِلْكَ
هِيَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ وَظِيفَةُ الضَّحِكِ حَيْثُ لَا يَزَالُ قَلِيلَ الذُّلِّ عَلَيَّ مَنْ يَكُونُ مَوْضِعَهُ،
فَالضَّحِكُ فِي الحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنَ الأَضْطِهَادِ الأَجْتِمَاعِيِّ.

الفصل الثالث

هزل الشخصية أو الطبع

I

تتبعنا الهزل عبر الكثير من فتلاته وبرماته ، باحثين في كيفية تسربه الى الشكل ، والى الموقف ، والى الإشارة ، والى الوضع والى العمل والى الكلمة . ومع تحليل « الصفات » الهزلية ، نصل الآن الى القسم الأكثر أهمية في مهمتنا ، وهو ، عدا عن ذلك ، القسم الأصعب ؛ لو أننا استسلمنا لاغراء تعريف المضحك ، بواسطة بعض الأمثلة الصارخة ، وبالتالي الفجة : عندها - ويقدر ما نكون قد ارتفعنا نحو مظاهر الهزل الأكثر علواً - نكون قد رأينا الوقائع تسقط بين الثقوب الواسعة جداً في التعريف الذي يريد الامساك بهذه الوقائع . ولكننا اتبعنا في الحقيقة المنهج المعاكس : لقد وجهنا الضوء من أعلى الى أسفل .

ولقناعتنا أن الضحك له معنى وله مدلول اجتماعيان ، وان الهزل يعبر ، قبل كل شيء ، عن نوع من اللاتكيف الخاص الكامن في الشخص ، تجاه المجتمع ، وأن لا هزل أخيراً إلا في الانسان ، بل ان الهزل هو الانسان : ان الشخصية هي التي استهدفناها أولاً .

إن الصعوبة كانت ، بصورة أولى ، قائمة في تفسير « كيف يتأتى لنا أن نضحك من شيء ما آخر غير الشخصية ، وبأية ظاهرات رهيقة ، ظاهرات الانطباع ، والدمج أو الخلط ، يستطيع الهزل أن يتسرب الى حركة بسيطة ، الى وضع غير شخصي ، والى جملة مستقلة . ذلك هو العمل الذي قمنا به حتى الآن . إننا أخذنا لأنفسنا المعدن النقي ، واتجهت جهودنا حتى الآن الى إعادة تكوين الركاز [المعدن غير الصافي] . ولكننا سندرس الآن المعدن بالذات . والأمر سيكون سهلاً لأننا نواجه الآن عنصراً بسيطاً . فلننظر اليه من قرب ، ولننظر كيف يتفاعل مع الباقي .

قلنا : هناك حالات نفسانية ننفعل منها منذ أن نعرفها . هناك أفراح وأحزان نتألف معها ، وهناك أهواء وعيوب تثير الاستغراب المؤلم ، أو الرعب ، أو الشفقة لدى الأشخاص الذين يتأملونها ، وأخيراً هناك مشاعر تمتد من نفس الى نفس من خلال تجاوبات عاطفية ، كل هذا يهم جوهر الحياة . وكل هذا جدي ، وأحياناً مأسوي . حين يتوقف شخص الغير عن إثارة مشاعرنا ، هنا فقط تبدأ الكوميديا . وهي تبدأ مع ما يمكن أن نسميه « التصلب ضد الحياة الاجتماعية » . يعتبر مضحكاً الشخص الذي يسير ، بصورة أوتوماتيكية ، طريقه دون أن يلتفت للاتصال بالآخرين . والضحك موجود لكي يصحح سهوه ولكي يصحبه من حلمه . وإذا جازت مقارنة الأشياء الصغيرة بالكبيرة ، فإننا نذكر هنا بما يحصل عند الدخول الى مدارسنا . بعد أن يكون الطالب قد اجتاز الاختبارات الرهيبة في الامتحانات ، يبقى عليه أن يواجه اختبارات أخرى ، اختبارات يُعدّها له رفاقه الأقدم لكي يؤهلوه للمجتمع الجديد الذي يدخل اليه ، ولكي « يلبسوا طباعه » ، كما يقولون . إن كل مجتمع صغير يتكون داخل المجتمع الكبير ، يُحمل هكذا - بموجب غريزة غامضة - على ابتكار أسلوب في التصحيح وفي

التلين به يجد من يبوسة العادات المكتسبة خارج هذا المجتمع ، والتي يجب تغييرها . إن المجتمع بالذات لا يتصرف بشكل آخر . وان على كل فرد من أعضائه أن يبقى متنبهاً لما يحيط به ، وان يتقوّلب مع المحيط ، وأن يتفادى الانغلاق ضمن شخصيته ، كما لو كان في برج عاجي . ولهذا فإن المجتمع يرفع فوق رأس كل فرد ، - ان لم يكن سوط الاصلاح - فعلى الأقل احتمال الالهانة ، التي وإن كانت خفيفة ، فإنها تبقى مرهوبة . تلك هي وظيفة الضحك . فالضحك ، وهودائماً مشين بالنسبة الى الشخص المضحوك منه ، هو حقاً نوع من التوبيخ الاجتماعي .

الضحك لهنري برغسن، ترجمة على مقلد، بيروت، المؤسسة الجامعية للداراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧